ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

The role of solidarity in achieving social justice from the perspective of the Qur'an and the hadiths

Ali Shamran Rahi

University of Religions and Sects, Department of Quranic Sciences

Dr. Said K.Baqri

Institute for Research on Culture and Islamic Thought

Dr. Mohammad Shirin Kar Movahed

University of Religions and Sects, Department of Quranic Sciences

Email:
Sbaqeri86@yahoo.com
Movahed1010@gmail.com
Alzamilyali79@gmail.com

Keywords:

Solidarity, social justice, the Holy Quran, altruism.

CC BY

Article info

Article history:

Received 25.Nov.2024

Accepted 29.Dec.2024

Published 25.May.2025

A B S T R A C T

Solidarity in Islam is an innate system that derives its existence from the laws of God that link human nature with the laws of the universe. A parent's sponsorship of his children is an innate matter that a person is driven to by an innate impulse. The same applies to sponsoring his family, or his mother and father. If we seek the truth, we find in a person a desire to sponsor a poor neighbor or a poor relative who is far away from his home, or to sponsor an orphan, so he takes care of him as he takes care of his own children. This solidarity also includes society, so that fraternal ties are strengthened among its members.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol59.Iss2.4180

دور التكافل في تحقيق العدالة الاجتماعية من منظور القرآن والسنة النبوية الشريفة

الباحث: علي شمران راهي **المشرف: د. سيد كاظم سيد باقري**
جامعة الأديان والمذاهب/ قسم علوم القرآن **معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي**

م. المشرف: د. محمد شيرين كار موحد
جامعة الأديان والمذاهب/ كلية علوم القرآن

الملخص:

التكافل في الإسلام نظام فطري يستمد وجوده من سنن الله التي تربط بين فطرة الإنسان وسنن الكون فكفالة الوالد لأبنائه. أمر فطري يندفع إليه الإنسان اندفاعاً فطرياً. ومثل ذلك كفالته لأهل بيته، أو لأمه وأبيه، وإذا شئنا الحق وجدنا في الإنسان رغبة في كفالة الجار الفقير أو القريب الفقير على بعد داره، أو كفالة يتيم، فهو يرعاه كما يرعى أولاده. ويشمل هذا التكافل أيضا المجتمع فتقوى بين أبنائه الروابط الأخوية.

الكلمات المفتاحية: التكافل ، العدالة الاجتماعية ، القرآن الكريم ، الإيثار.

التمهيد:

من المأثور عن الرسول ﷺ قوله : (أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) (صحيح البخاري ج٢ ص٤٣٢ ح٤٥٤٣)، واذا أردنا أن نتوسع في شرح الحديث الشريف يكون معناه : أيما شعب أصبح وفيه جائع منهم . فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله ﷺ والذمة هي الأمانة والعهد والضمان . ما يعني أن سبحانه وتعالى قد أوكلهم الى أنفسهم وحجب عنهم رحمته ، ولم يقتصر التكامل الاجتماعي على المسلمين فقط وانما يشمل غير المسلمين من أهل الكتاب ما داموا في دار الإسلام.

إن المال لله تعالى ونحن مستخلفون في أرضه . قال الإمام علي (عليه السلام) : (ان الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعوا ، أو عروا ، أو جهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله أن يحاسبهم عليه يوم القيامة ويعذبهم عليه) (الهندي، ١٩٨١: ٥٢٨) ، وهذا الأمر ليس متروكاً لاختيار الاغنياء ، إن شاءوا أعطوا ونجوا.. وإن شاءوا منعوا وعذبوا يوم القيامة . فالأصل أن يقوم ولي الأمر بجباية ذلك الحق ، والله سبحانه يقول : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) (التوبة : الآية ١٠٣) ، وولي الأمر لابد له من أن يذكر الأغنياء بمسؤوليتهم أمام الله قبل أن يأمر أجهزته باستحصالها من الأغنياء القادرين والكفالة التي أجملها الإمام علي (عليه السلام) تعني أنه فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويتكفلوا إعانتهم . والسلطان يدفعهم للعمل بنظام الفطرة المرتبط بالسنن الإلهية الكونية ، إن لم نقم أموال الزكاة بهم ولا سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه ومن اللباس للشتاء والصيف ، بمثل ذلك ، وبمسكن يقيهم من المطر و حر الصيف والشمس و من عيون المارة.

١ ـ١ . مفهوم التكافل الاجتماعي :

الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له ، سواء كان الكافل من ذوي رحمه أو أنسابه أو كان أجنبيا . والتكافل في اللغة تؤخذ من مادة كفل وتأتي على معان متعددة ومنها :

أ. تأخذ معنى النصيب وكذلك الضعف والمثل ،(ابن منظور:ج١ ص٦٦) قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كفلين من رحمته) (الحديد : الآية ٢٨) ، قيل أن معناها نصيبين وقيل ضعفين

ب. وتأتي للحظ قال تعالى : (وَمَنْ يَشْفَع شفاعة سَيِّئَةً يَكُن لَهُ كِفل مِنْهَا) (النساء : الآية ٨٥) .

ج. تأتي لمعنى العائل قال ابن منظور في لسان العرب : (فالكافل العائل ، كفله يكفله وكفله إياه) (ابن منظور، ١٩٥٤: ٤٠٣) . وفي التنزيل العزيز قال تعالى : (وكفلها زكريا) (آل عمران : الآية ٣٧) .

د. وقد تأتي بمعنى الضامن قال تعالى: (إذ يُلْقُونَ أقلامهم أيهم يكفل مريم) (آل عمران : الآية ٤٤) أي أيهم يعولها ويضمن معيشتها.

وعرف محمد ابو زهرة التكافل بالقول : (يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون أحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذو سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الأضرار ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة) (أبو زهرة، ١٩٩١: ٧).

وعرفه باحث آخر: (تعاون ابناء المجتمع فرادى وجماعات على تحقيق الخير ودفع الجور) (الطيار، ١٤٠٦هـ: ٢٠) ، اي أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم أو سلبية كتحريم الاحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده.

والتكافل الاجتماعي تضامن أبناء المجتمع وتساندهم ، سواء كانوا أفرادا أو طوائف ، أو حكاما أو محكومين وذلك بدوافع إيمانية نبيلة ، تهدف إلى غايات كريمة ، تنتهي إلى تحقيق الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية لجميع أبناء المجتمع وذلك بتوفير الاحتياجات الأساسية من مأكل ومشرب ودواء وكساء وتعليم ، بالإضافة إلى مقاومة كل من يحاولون خرق سفينة المجتمع كالمحترفين ، والمحتكرين والأكلين للأموال بالباطل بشتى الصور.(عويس، ٢٠١٠: ٤٦)

٢ ـ ١ ـ مبادئ التكافل الاجتماعي :

المبدأ الأول : الاخوة الإيمانية

حرص الاسلام الأصيل على بناء علاقات روحية اصيلة بين الناس أساسها الألفة والمحبة والتعاون وإصلاح النفوس والابتعاد عن التباغض والتناحر والتنافر ، وقد عمل على تطوير ذلك وتدعيمه . لذا كان من أول الاعمال التي قام بها النبي ﷺ لبناء دولة أساسها العدل ومبدؤها المودة والتسامح هو المؤاخاة بين المهاجرين والانصار بعد ان كان بينهم الثأر واراقة الدماء (ذهيبات، ١٤٢٥: ٩)، كما وصفهم الله تعالى في محكم كتابه (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون). (آل عمران: ١٠٣)

فبعد المؤاخاة التي وثقها النبي ﷺ بروابط المحبة والوئام والتكافل الاجتماعي الذي كان على رأس الأخوة فيتقاسمون امورهم ويتعاونون فيما بينهم على الرغم من ضيق عيشهم(ذهيبات، ١٤٢٥هـ: ٩) ، كما قال تعالى: (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم) (الحشر: ٩) ، فالمبادئ التي احدثها الإسلام تعد منطلقا بانعطافات حادة في تفكير اغلب المسلمين وسلوكهم ، اذ كان الفرد العربي في الجاهلية متقوقعا منكفئاً على نفسه حتى صار انسانا اجتماعيا يشعر بالآخر ويمد العون لأخوته كما أشار اليها القرآن

الكريم : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً). (آل عمران: ١٠٣)

واما السنة الشريفة كان لها أثر بالغ وعظيم في ترسيخ مبدأ التكافل الاجتماعي وتدعيمه من خلال مساعدة الاخوة بتسهيل أمورهم ، وقضاء حوائجهم وصون كرامتهم وعدم إراقة ماء وجوههم ، فنسج أهل البيت (عليهم السلام) – حالة التكافل الاجتماعي والتضامن الجماعي بإشاعتهم اليها بين صفوف المجتمع ، فكما ورد في الروايات عن اهل البيت (عليهم السلام) فعن رسول الله ﷺ قال : (من سعى في حاجة أخيه المؤمن ، فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة ، صائماً نهاره ، قائماً ليله) (الصدوق، ١٤١٠هـ: ١٩٠)، وروي عنه ﷺ قال : (من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، كان كمن عبد الله دهره) (الطوسي، د.ت: ٤٨١) ، وقال ايضاً : (لا يكلف المؤمن أخاه الطلب اليه اذا علم حاجته) (الصدوق، ١٤٠٣: ٦١٤) فخط الإمام على عليه السلام – طريقا كما رسم له النبي ﷺ لقياس التفاضل الاجتماعي للمنفعة العامة بقوله (عليه السلام) : (خير اخوانك من واساك). (الواسطي، ١٣٧٦هـ: ٢٣٨).

المبدأ الثاني : المسؤولية العامة

سعى الإسلام لإنماء مبدأ الشعور بالمسؤولية، فالتكافل الاجتماعي إحساس جمعي يتفق عليه المسلمون جميعاً أو أبناء الأمة الواحدة، لذا عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، على تأصيل فكرة الشعور بالمسؤولية العامة بالمحاولات عملياً وتطبيقياً في جميع الاتجاهات السياسية والاقتصادية والتعليمية ولكي تكون المسؤولية عامة فلا بد من الإحاطة بها من جميع الجوانب عن طريق زرع الوعي الفكري الصحيح لأن الفكر الخاطئ يؤدي الى هلاك الأمم(ذهيبات، ١٤٢٥هـ: ٢٤) كما في قوله تعالى:(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤)، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على المسؤولية كما ورد عنه قال : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (مسلم، ١٩٩١: ١٢٨٩) ، لذا فان آل البيت (عليهم السلام) غرسوا الوعي الصالح في المجتمع لكي يرتفع الشعور بالمسؤولية من خلال التكافل الاجتماعي في اتجاهات متعددة ومنها الاتجاه السياسي ليكون المسؤول بأي شكل جاء الى السلطة بمستوى يليق بالمسؤولية ؛ لأنه يتحكم برعيته من جهة الرعاية والاعالة والاهتمام ؛ لأنها شمولية تبدأ من رأس الهرم إلى القاعدة(ذهيبات، ١٤٢٥هـ: ٢٥).

أذن المسؤولية الجماعية هي تلك التي يقوم بها مختلف أفراد المجتمع دون استثناء كل في نطاق عمله وتخصصه وأماكن وجوده ، ومن المسؤوليات الجماعية ، حفظ السلم الاجتماعي ونشر الأمن والمحافظة على الدماء والأعراض والأموال ، فضلا على ضرورة التآلف والتآخي والتراحم ونبذ العصبية والفرقة والنعرات سواء كانت حزبية أو مذهبية أو مناطقية ، فبناء الاوطان مسؤولية تحتاج إلى التعاون والتوافق في الثوابت والأسس التي تحفظ الدين والأرض والإنسان ، وحدد الامام علي عليه السلام – مهام كل انسان تجاه نفسه وعياله والمجتمع بقوله : (أتقوا الله في عباده وبلاده ، فأنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم) (ابي الحديد، د.ت: ٢٨٨)، وقوله ايضاً : (كل امرئ مسؤول عما ملكت يمينه وعياله). (الواسطي، ١٣٧٦هـ: ٣٩٦)

المبدأ الثالث: الإثار :

يعد الإثار من القيم الرفيعة التي تدفع الانسان الى الأفضلية في تقديم المصلحة العامة ، أو منفعة الآخرين على نفسه ، كما مدح الله تعالى صاحب هذه الصفة بقوله تعالى : (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر: ٩)، قال النبي ﷺ (للأنصار) إن شئتم قسمتم لهم من دوركم وأموالكم ، وقسمت لكم كما قسمت لهم ، وإما أن يكون لهم القسم ، ولكم دياركم وأموالكم ، فقالوا : لا ، بل تقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا

نشاركهم في القسم ، فأنزل الله – عز وجل – هذه الآيات ثناء على (الأنصار) (المجلسي ، بحار الانوار ج٥٦ ص٤٣٢)، وقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة: ٣)، وأشار الصالحون (عليهم السلام) إلى مواصفات البشر من خير أو شر ، فقال الامام الصادق (عليه السلام) : (خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم ، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان ، والسعي في حوائجهم ، وان البار بالإخوان ليحبه الرحمن ....) ثم قال لجميل بن دراج : يا جميل ، أخبر بهذا غرر أصحابك ، قلت : جعلت فداك من غرر أصحابي ؟ قال : هم البارون بالإخوان في العسر واليسر، ثم قال : يا جميل ، أما ان صاحب الكثير يهون عليه ذلك(الكليني، ١٤٠٧: ١٤) ، فالقيمة الأساس للإنسان هي الإثار ، لإسهامه في تفعيل مبدأ التكافل بعدما كان الانسان في الجاهلية أنانياً يقدم منفعته قبل كل شيء ، فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك ، كما روي عن رسول الله ﷺ عندما جاءه رجل شكا اليه الجوع ، فبعث رسول الله ﷺ الى بيوت ازواجه فقلن ما عندنا الا الماء ، فقال الرسول ﷺ : من لهذا الرجل الليلة ؟ فقال الامام علي (عليه السلام) أنا له يا رسول الله واتى فاطمة عليها السلام ، فقال لها ما عندك يا ابنة رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا الا قوت العشية لكنا نؤثر ضيفنا ، فقال عليه السلام : يا ابنة محمد ﷺ نومي الصبية وأطفئي المصباح ، فلما أصبح علي (عليه السلام) غدا على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم) (الحشر: ٩)وفي رواية أخرى أن الامام علي (عليه السلام) اشترى ثوباً فأعجبه فتصدق به(ابن شهر آشوب، د.ت: ٣٦٦).

المبدأ الرابع : التراحم

أكد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز على التراحم فيما بين الخلق كما في قوله تعالى : (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) (المائدة: ٣٢)، أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل ، أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً ، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحياؤها في القلوب ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها فالحفاظ على أرواح الناس أساس للتراحم ، لأنه قيمة تسهم بشكل مباشر في توجه الناس نحو التكافل بعيداً عن الحسابات والمكاسب المادية لأنها تتوجه بخط مستقيم مواز مع مبدأ الاخوة التي تهدف إلى تحقيق اعلى درجة من المشاركة والتعاون بينهم(البيضاوي، ١٤٠٨: ١٢٤) ، وبهذا الصدد أشار الامام علي (عليه السلام) بقوله : من لم يرحم الناس منعه الله رحمته(الواسطي، ١٣٧٦: ٤٢٨) ، وقول الامام الصادق (عليه السلام): (إني لأرحم ثلاثة وحق لهم أن يرحموا : عزيز أصابته مذلة بعد العز ، وغني أصابته حاجة بعد الغنى ، وعالم يستخف به أهله والجهلة) (الصدوق، ١٤١٠هـ: ٣٩٤)، فمفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام مفهوم واسع لا يقتصر على الجانب المادي فحسب بل هنالك التكافل الأدبي الذي يشعر الانسان لحب أخيه الانسان ، وكذلك التكافل العلمي والذي يشعر بخدمة طلبة العلم ، أي أن ضرورة التكافل المعنوي تكون مع العزيز الذي ألمت به الذلة ، وإن التراحم والتكافل بين أبناء المسلمين فيها بينهم يساهم في رفع البلاء العام عن الأمة المتراحمة والمتكافلة ، ويخفف عنها الآثار والجوائح والكوارث التي تعصف بها ، وكل هذا يكون بقدر ما تلتزم بتعاليم الشرع الحنيف ، والسنة النبوية الشريفة ، وفي هذا قال رسول الله ﷺ : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسْرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أخيه ...) ولهذا الحديث دلالة على فضل التكافل بين المسلمين ومساعدة بعضهم بعضاً والسعي في قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك.(النووي، ١٣٩٢هـ: ٢١)

المبدأ الخامس : الكرامة الانسانية

التكافل الاجتماعي مبني على مبدأ الكرامة الإنسانية ، فالإسلام ينظر الى الإنسان باعتباره خليفة الله في الارض ، وذلك من خلال تميزه وتكريمه عن باقي مخلوقاته ، قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا). (الاسراء: ٧٠)

ان التشريع الاسلامي يسمو على كل النظم الوضعية و الانسانية من خلال إثباته لمبدأ الكرامة الإنسانية ، التي تشمل الناس جميعا بقطع عن أجناسهم وأعراقهم وأديانهم ، هذه الكرامة هي التي ضمنت حقوق الإنسان في الحياة والعقيدة و الحرية والعلم ، فهي للناس جميعا ومن واجب الدولة أن تكفلها لهم على قدم المساواة بلا استثناء(السباعي، ١٩٩٩: ٩٩).وتترتب على هذه الكرامة الإنسانية في الاسلام هي أن العلاقة بين البشر علاقة مودة ورحمة ، فهي أساس العلاقات الإنسانية كلها ، فالمودة هي القانون الإنساني الشامل لكل العلاقات الإنسانية من حيث إنها تربط كل من في الأرض من بني البشر ، سواء أكانت هذه العلاقات على مستوى المجتمع الاسرة أو على مستوى الجوار أم على مستوى المجتمع الصغير أو الكبير أو المجتمع الإنساني العام.(عبدالعال، د.ت: ٣٦)

ولأجل الكرامة الانسانية ينتقل التكافل فيصل جميع ألوان الطيف الإنساني ، إذ قال عز ثناؤه : (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨). ومن صور البر والقسط في معاملة غير المسلمين هو السعي في إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإعانة فقيرهم وحفظ مصالحهم المادية و المعنوية .

المبدأ السادس : التعاون الجماعي :

يعد التعاون على البر والتقوى وعلى أعمال الخير من أبرز مطالب تحقيق التكافل الاجتماعي التي تسعى إليه المجتمعات، وذلك ليتساندوا فيما بينهم على تعزيز المواقف الايجابية والفاعلة تجاه حل مشكلات المجتمع وحاجاته كالقضاء على الفقر والمحافظة على الممتلكات العامة ، ولا سيما التعاون والتعاضد والتراحم في وقت الأزمات.

فالإنسان لا يمكن له أن يستقل بحياته منفرداً ، فعلى الرغم من وجود النزعة الفردية لدى الإنسان التي تدفعه الى تحقيق ذاته ، ولكن توجد في فطرته منزع أخر ، وهو الجانب الاجتماعي الذي يدفعه الى التآلف والتعاون والتكامل البشري مع الآخرين ، وعلى هذا جاء الإسلام ليؤكد هذه الحقيقة العظيمة ، وهو أن البشر يكمل بعضهم بعضاً ويستفيد بعضهم من بعض ، وهذا أصل ما جاءت به النصوص الشرعية التي تحث على التعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان ، قال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢). وفي هذه الآية تأكيد وأمر لجميع الخلق بأن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى، وأن يعين بعضهم بعضاً(القرطبي، ٢٠٠٣: ٤٦). وفيه أن الله عز وجل ندب الى التعاون بين الناس على البر وقرنه بالتقوى له ، وذلك لأن في التقوى رضا الله ﷻ، وفي البرّ رضا الناس، وعليه من جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته. (الماوردي، ١٩٨٦: ١٨٢-١٨٣)

٢ ـ ٢ . آثار التكافل الاجتماعي على الفرد والمجتمع

إن من السمات الانسانية التي تنشدها البشرية هو التعاون وهو يمثل أقوى الأسس التي تبتني عليها حياة اجتماعية سليمة في كل جزئياتها وصحيحة بمناهجها ، وقد يكون البعد الأول للتعاون هو تحقيق المنفعة الذاتية وهو أمر لا غبار

عليه فالإنسان أول ما يفكر بالمنفعة يفكر بنفسه وهذا الأمر فطرة إنسانية ، قال تعالى : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَمِنْ دَخَلَ بيتي مُؤْمِنًا) (نوح: ٢٨). فأبتدأ بنفسه ثم سرى الدعاء لغيره والصورة الثانية للتعاون هو عندما تتجسد المنفعة الجماعة المتعاونة فيما بين افراد الجماعة الواحدة، وتزداد تلك عندما يكون الغرض منه هو مساعدة الآخرين والعودة بالمنفعة على مجموعة من الأفراد ، عندها يسمى بـ (التكافل الاجتماعي) ، لأنه يمثل صورة من صور كفالة الفرد للآخر ضمن دائرة مجتمعية واحدة ، ويقصد به التزام مجموعة من الأفراد وتعاونهم في سبيل تقديم المساعدة للأشخاص المضطرين والمحتاجين والذين لا يستطيعون تأمين هذه المستلزمات لوحدهم ، لسبب ما خارج عن إرادتهم.

اولا: آثار التكافل الاجتماعي على الفرد

إن الإنسان كائن مدني بطبعه لا يستطيع ان يحيى فرداً ولا تستقيم له الحياه الا في جماعة متعاونة متكافلة تحافظ على كرامة هذا الإنسان أياً كان دينه أو انتمائه فالتكافل الاجتماعي يوفر حماية ورعاية للفرد في ذلك المجتمع ويكون مظلة طمأنينته تشمل بالتالي المجتمع كله قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَم يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨).

فعندما يكون أفراد المجتمع يشتركون في المحافظة على المصالح العامة ودفع الاضرار المادية والمعنوية فإنهم ينطلقون من بعد روحي وصفاء نفسي لا ينشد سوى القرب من الله تعالى، وقد اهتم الإسلام في بناء مجتمع متكامل بحيث يشعر كل فرد فيه انه الى جانب الحقوق التي له ان عليه واجبات للآخرين . عن رسول الله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى). (الكليني ، الكافي :١ ص ٤٧٨)

كما كفلت الشرعية في مصادرها العامة ، النص على المنع عن مجموعة من النشاطات الاقتصادية والاجتماعية ، المعيقة في نظر الإسلام عن تحقيق المثل والقيم التي يتبناها الإسلام ، كالربا والاحتكار وغير ذلك.(الصدر، ١٩٨٧: ٢٨٨)

والتكافل يولد شعور عند الفرد بأنه غير منفصل عن المجتمع وليس بمعزل عنهم لتوثيق العلاقات وتقوية أواصر المحبة والترابط بينهم وذلك لوقوفهم إلى جانبه في السراء والضراء ويعتبر نوع من أنواع التربية على الرحمة والشفقة والحنان والاخوة في الله التي هي من اقوى عرى الايمان.

قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه أي عرى الإيمان أوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، وقال بعضهم : الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة.... فقال رسول الله ﷺ : لكل ما قلتم فضل وليس به ، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وتولي أولياء الله والتبري من أعداء الله). (البرقي، د.ت: ٢٦٤)

وعن أبي جعفر (عليه السلام) انه قال: (قال رسول الله ﷺ : ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان ، ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله). (الكليني، ١٤٠٧هـ: ١٢٥)

حيث الأخوة ليس مجرد تبادل كلمات الود فقط او شعارات ومجاملات وإنما هي توجد بين شخصين او أكثر تصل في وقت الشدة والحاجة بمد يد العون للمحتاج منهم و يستقطع قسم من ثروته لسد حاجة أخيه.

ثانيا: آثار التكافل الاجتماعي على المجتمع

استطاع الإسلام من خلال القيم التي دعا إليها أن يحقق تكافلا مزدوجا بين الفرد من جهة والجماعة من جهة أخرى ، فجعل لكل منهما بعض الالتزامات التي تقع على عائق احدهما تجاه الآخر ، فمازج بين المصالح الفردية والعامة بحيث يكون احدهما مكملا للآخر ، حيث أن تحقق أي مصلحة من المصالح العامة يتحقق به المصلحة للفرد ايضا ضمنا ، فالمجتمع مسؤول عن حفظ النظام العام ، وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع أو يعطل بعض مصالحه. قال الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٧١) فبهذا المنهج التكافلي تتحقق اللحمة بين افراد المجتمع الواحد .

جاء الاسلام بمنهجه لينظم الجانب الروحي من خلال مجوعة من العبادات والممارسات التي ترقى به إلى مصاف الملائكة والتمثيل والخلافة وتسخير كل الكون له ، في المقابل جاء الاسلام لينمي الجانب المادي في حياة الانسان وينظمه ضمن دائرة من الحقوق والواجبات والاسس النظرية والعملية التي تسعى بالإنسان إلى حالة من الاستقرار وتسعى به لتحقيق كل ما يصبوا اليه ضمن اطار المجموعة وليس بعيدا عنها ، فقد ابدت الروايات التحذير في الكثير من النصوص الى كل مقصر في حق إخوانه، والغرض من هذا التحذير هو المحافظة على البناء الاجتماعي من أي تصدع والحفاظ على النسيج الاجتماعي للحد من أي تحول يخل بقواعد العيش المشترك ، يقول الإمام الصادق عليه السلام : (من صار إلى أخيه المؤمن في حاجته فحجبه، لم يزل في لعنة الله إلى أن حضرته الوفاة) (المفيد، ١٤١٣هـ: ٣١). كذلك الحال فان من يحجب المعونة عن اخيه سوف يساهم في تعطيل حركة التعاون والتكافل التي من حقها النمو والبلوغ ليصبح المجتمع قويا متراصا والفرد فيه يعيش الكرامة وعدم الفاقة يقول الإمام الباقر عليه السلام : (من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته ، ابتلي بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر) (الكليني، ١٤٠٧هـ: ٣٦٦).

لذا ان التكافل الاجتماعي في نظر الاسلام هو منظومة معارف تحاول بناء كيان المجتمع ضمن خط بياني يمثل الصواب في كل مفردة وحيثية من حيثيات حياة المجتمع لذا فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ووضع لها حكما خاصا ولم يترك ثغرة في البناء الاجتماعي الا عالجها. ويرى السيد الشهيد الصدر "ان خطوات الإسلام التي خطاها في سبيل إيجاد المجتمع الإنساني الأفضل، عبر تجربته التاريخية المشعة، كانت واضحة وصريحة في اهتمامه بهذا الركن الرئيسي من اقتصاده"(الصدر، ١٩٨٧: ٢٨٩). وفي تفسيره للآية القرآنية (وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) (الحشر: ٧) ، يعتبر الإمام الشهيد الصدر: (أن الفيء ملك المنصب الذي يشغله النبي والإمام ومصرفه الذي يجب عليه صرفه عليه هو ما يدخل ضمن العناوين التي ذكرتها الآية). (الصدر، ١٩٨٧: ٦٦٦)

والفيء في الأصل هو ما يغنمه المسلمون من الكفار بدون قتال و في هذا التوجه القرآني تأكيد واضح على توزيع الثروة على الجماعة ، فهي ليست محتكرة الجماعة دون أخرى ، وإنما يشترك فيها الفقير واليتيم والمسكين وابن السبيل وبقية الناس.

فيدع للفرد حريته كاملة في الحدود التي لا تؤذيه ، ولا تأخذ على الجماعة الطريق ، ويجعل للجماعة حقوقها ، ويكفلها من التبعات في الوقت ذاته كفاء هذه الحقوق ، لتسير الحياة في طريقها السوي القويم ، وتصل إلى أهدافها العليا التي يخدمها الفرد وتخدمها الجماعة سواء.(قطب، ١٩٩٥: ٦٢)

نتائج البحث:

١. القرآن الكريم أكد على التكافل الاجتماعي وبين اهمية في القران والسنة النبوية
٢. التكافل الاجتماعي في الإسلام يمثل نظام أخلاقي قائم على مبدأ الأخوة والمحبة والإيثار حث والتعاون وحفظ كرامة الإنسان المادية و المعنوية ، يحقق مصالح الجميع بما يرضي الله سبحانه و تعالى .
٣. ان طرح نماذج مختلفة للتكافل الإجتماعي بحيث تتمكن الدولة ان تساهم والأغنياء في مساعدة الفقراء والمهمشين من خلال بناء مؤسسات تدعم التكافل الإجتماعي و المشاركة المجتمعية ومنظمات المجتمع المدني .

وهكذا يفرض الإسلام التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله ، تمشياً مع نظرته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة ، وفي تناسق الحياة وتكاملها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

نهج البلاغة

الكتب:

١. ابن ابي الحديد (ت٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية.
٢. ابن شهر اشوب ، (ت ٥٨٨ هـ) مناقب ال إبي طالب ، تحقيق : يوسف البقاعي ، الناشر: دار الأضواء .
٣. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري ، لسان العرب ، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، القاهرة: دار إحياء التراث العربي (١٩٥٤) .
٤. البرقي، الشيخ أحمد بن محمد بن خالد ، المحاسن، عُني بنشره وتصحيحه السيد جلال الدين الحسيني، نشر دار الكتب الاسلامية، قم .
٥. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد (ت٦٨٥ هـ) ، أنوار التنزيل واسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
٦. الحويزي، عبد علي، تفسير نور الثقلين، تحقيق علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي .
٧. د . عبد الحليم عويس ، الوحي والعقل والعدل في ميزان الاسلام ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٠ م.
٨. الري شهري ، السيد محمدي ، ميزان الحكمة ،مركز الإعلام الإسلامي ، ط١ ، دفتر تبليغات إسلامي ، قم .
٩. الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهيل ، أبو إسحاق (ت٣١١ هـ) معاني القرآن وأعرابه ، تحقيق عبد الجليل شبلي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .
١٠. السباعي، مصطفى بن حسني، من روائع حضارتنا ، دار الوراق للنشر ، بيروت ، المكتب الإسلامي، ط١ ، ١٩٩٩ م.
١١. سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط١ ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.
١٢. الصدر ، محمد باقر ، اقتصادنا ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط٢٠ .١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م .
١٣. الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي ، من لايحضره الفقيه ، تحقيق : حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، بيروت – لبان ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٠ هـ .
١٤. الصدوق، محمد بن علي ، الخصال ، جماعة المدرسين، قم ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ.
١٥. الطوسي ، محمد بن حسن (١٤١٤ هـ) ، الأمالي، التصحيح والتنظيم قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة، دار الثقافة ، قم .
١٦. الطيار ، عبد الله محمد ، التكافل الإجتماعي في الفقه الاسلامي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ.
١٧. عباس ذهيبات ، التكامل الإجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، مركز الرسالة ، مطبعة ستاره –قم ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ
١٨. عبد العال ، أحمد عبد العال ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، الشركة العربية للنشر والتوزيع
١٩. القرطبي ، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ) تفسير القرطبي ، تحقيق هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض الطبعة الاولى ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م .
٢٠. الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧ هـ .
٢١. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ) أدب الدنيا والدين ، دار مكتبة الحياة ، ط١ ، ١٩٨٦ م .
٢٢. المجلسي ، محمد تقي ، روضة المتقين ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، قم ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
٢٣. محمد أبو زهرة ، التكافل الإجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
٢٤. مسلم بن حجاج ، صحيح الإمام مسلم . (١٩٩١) . إعداد عبد الباقي . القاهرة: دار الحديث.
٢٥. المفيد، محمد بن النعمان ، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، المؤتمر العالمي، للشيخ المفيد، قم،الطبعة الأولى،١٤١٣هـ.
٢٦. النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، (ت٦٧٦ هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ .
٢٧. الواسطي ، علي بن محمد الليثي ، عيون الحكم والمواعظ ، دار الحديث ، إيران ، ط١ ، ١٣٧٦ هـ .